ابن ظفر الصقلي وسلواناتُهُ
عرض ودراسة

د. يُسرى اسماعيل إبراهيم الشُريفي
مدرسة / قسم اللغة العربية
كلية الآداب

مقدمة

يهدف هذا البحث الى التحري عن ابن ظفر الصقلّي، ومعرفة سيرته، ونشاطه الانساني، والكشف عن نتاجه الأدبي على الرغم من قلة الاخبار التي رواها المؤرخون عنه.

كما يسعى الى دراسة مؤلَّفه «سلوان المطاع في عدوان الاتباع» الذي ألفه على هيأة مجالس سمر تروىُ فيها قصص لغرض التسلية، وبث الاتباع والفرح في نفس الحزين المغتم فكانت السلوانات.

سيرته

ابن ظفر، هو حجة الدين، محمد بن أبي محمد بن ظفر الصقلّي [١] واختلف الرواة في كنيته، فقيل: هو أبو عبدالله [٢]، وقيل: هو أبو جعفر [٣]، وذكر ابن خلكان [٤] ان ابن ظفر هو «أحد الأدباء الفضلاء، وصاحب التصانيف الممتعة».

ولد ابن ظفر بجزيرة صقلية، وكانت نشأته في مكة، ثم تنقل في البلاد، ورحل الى مصر وافريقية، وأقام في المهدية مدة من الزمن شهد فيها حروب الفرنجة الذين أخذوها من المسلمين سنة ٤٨١هـ/١٠٨٨م [٥]، وهو مقيم فيها فاضطر الى الارتحال عنها الى مسقط رأسه في صقلية لقربها من مكان وجوده، ولكنه قفل عائداً الى مصر ثانية وقصد بعدها بلاد الشام فوصل الى حلب وحلّ فيها مقيماً في مدرسة ابن ابي عصرون [٦] فكتب بها تفسيراً للقرآن الكريم، فلما جرت الفتنة الكبرى بين الباطنية والاسماعيلية [٧]، نهبت كتبه فيما نهب، فقصد حماة ولقي فيها قبولاً كبيراً، فهرع إليه طلبة العلم، ونشط في التأليف بعد أن أجري عليه راتب من ديوانها، وكان دون الكفاف حتى قيل: انه زوج ابنته في حماة بغير كفء بسبب الحاجة والضرورة، وان الزوج رحل بها عن حماة، وباعها في بعض البلاد [٨]، وظل ابن ظفر يكابد الفقر الى ان مات سنة خمس وستين وخمسمائة للهجرة [٩]. ومن صفات ابن ظفر الخلقية كما يذكر ابن خلكان [١٠]، والصفدي [١١] انه قصير القامة، دميم الخلقة غير انه صبيح الوجه.

ووصف ياقوت الحموي[١٢] ابن ظفر الصقلي ، بأنه نحوي ولغوي ، وأديب ، وذكر ابن خلكان[١٣] ان مناظرة في النحو واللغة جرت بين ابن ظفر، وبين الشيخ تاج الدين الكندي[١٤] ، فأورد الشيخ تاج الدين على ابن ظفر مسائل في النحو فلم يمش فيها ، فقال تاج الدين الكندي : الاول مسلم ، والثاني ممنوع.

وذكر ابن خلكان[١٥] ان ابن ظفر «صاحب التصانيف الممتعة» وقد تبين لنا من ترجمة المؤرخين لسيرته ان لهذه الشخصية الأدبية مجموعة من المؤلفات في علوم شتى.[١٦]

وقد نظم ابن ظفر الصقلي أشعاراً ، وأورد ابن خلكان[١٧] والصفدي[١٨] ، أبياتاً منها ، كما ضم كتابه «السلوانات في مسامرة الخلفاء والسادات سلوان المطاع في عدوان الاتباع» مجموعة من شعره.

السلوانات في مسامرة الخلفاء والسادات
سلوان المطاع في عدوان الاتباع

تأريخ تأليف الكتاب وطبعاته

ألف ابن ظفر الصقلي كتاب «سلوان المطاع في عدوان الاتباع» على صورتين: الاولى سنة خمس وأربعين وخمسمائة للهجرة والثانية سنة أربع وخمسين وخمسمائة للهجرة[١٩]، وذكر انه قد أهدى هذا الكتاب لأبي القاسم علي بن علوي القرشي القائد الصقلي الذي اصطحبه زمناً طويلاً وجرت بينهما مجالس سمر فأراد ان يرد جميله فلم يجد أفضل من اهدائه العلم والفائدة التي احتواها هذا الكتاب فقال: «وبعد، فان مما أفضى إليه اضطراب الاغتراب، وانتياب الاكتئاب، ان أظفرني اللهُ وله الحمد بمؤاخاة مقيل عثرات السادات السراة، ومسل أنفس الحسدة حسرات سيد السادة، وقائد القادة، أبي عبدالله محمد بن أبي القاسم علي بن علوي القرشي، فالحمد لله الذي اباحني من اخائه حمىً منيعاً، وحرماً آمنا، ومربعاً مريعاً، ووروداً منيعاً ووروداً ينيعا.... أحببت أن أهدي له هدية فائقة تكون عنده نافعة وبقدره لائقة، فلم اجد ذلك الا العلم الذي شغفه حباً والحكمة التي لم يزل بها صباً، والادب الذي استوعبه مولوداً وكسباً، واستغمره جلباباً وقلباً فأتحفته... بكتابي هذا»[٢٠]. ولاهمية هذا الكتاب طبع عدة طبعات: الاولى في القاهرة سنة ١٢٧٨هـ، والثانية في تونس سنة ١٢٧٩هـ، والثالثة في بيروت سنة ١٣٠٠هـ[٢١]، والرابعة نشرها السيد أسعد طرابزوني الحسيني في سنة ١٩٧٨م بعنوان: «السلوانات في مسامرة الخلفاء والسادات سلوان المطاع في عدوان الاتباع» وراجعها ابو نهلة احمد بن عبدالمجيد، مطبعة دار نشر الثقافة، القاهرة.

وترجم هذا الكتاب الى اللغة الانجليزية، كما قام قرة خليل أفندي زادة المتوفى سنة ١١٦٨هـ/١٧٥٤م بترجمته الى التركية، وطبعت هذه الترجمة باستانبول سنة ١٢٨٥هـ[٢٢]. ولاهمية الكتاب والاقبال عليه فقد لقي رواجاً وشيوعاً في الأوساط المختلفة حتى قيل: ان القاضي تاج الدين عبد بن علي السنجاري (ت ٨٠٠هـ) نظم هذا الكتاب شعراً[٢٣].

عنوان الكتاب

ذكر ابن ظفر في مقدمة الكتاب هذا انه سمى هذه السلوانات التي جمعها في مؤلّفه «سلوان المطاع في عدوان الاتباع» وقال في تعريف لفظة السلوان هي: «جمع سلوانة وهي خرزة تزعم العرب ان الماء المصبوب عليها اذا شربه المحب سلا»[٢٤]، وهو ايضاً دواء يسقاه

الحزين فيسكن حزنه ، والاطباء يسمونه المُفرِّح ، قال الشاعر: (من الطويل)

شربتُ على سلوانةٍ ماءَ مزنةٍ فلا وجديد العيش يامَيُّ ماأسلو[٢٥]

ووردت لفظة «السلوانة» او «السلوة» في الكتاب عدة مرات[٢٦] وفي جميعها تحمل دلالة ازالة الهم والحزن عن المروي له حكايات هذه السلوانات فمثلاً يبدأ الراوي في السلوانة الاولى –سلوانة التفويض– بقص حكاية «الثعلب والحية» على المروي له وهو الوليد بن عبدالملك وقد كان الحزن والهم قد أخذا مأخذاً عظيماً منه ، وذلك عندما أوغر ابن عمه يزيد ابن الوليد بن عبدالملك الصدور عليه ونازعه رداء ملكه ، ساعياً في هلكه فاستوحش الوليد من بطانته ، واحتجب عن سماره ، فدعا عشية من عشايا وحشته خادماً يطلب له مسامراً يزيل عنه هذا الهم ، ويبغي النصح والارشاد عنده[٢٧] .

ونرى ان هذه السلوانة المروية على الوليد بن عبدالملك تزيل عنه هذا الحزن والهم لينبعث في نفسه السرور والارتياح ، قال ابن ظفر: «فلما سمع عبدالملك ماضربه الشيخ من المثل واستبصر فيما اودعه من الحكم سر بذلك سروراً شديداً»[٣٨] .

ومما جاء في الكشف عن دواعي القص في هذه السلوانات وعمله في النفوس قول جاسوس كسرى في سلوانة الصبر لغلام ملك الروم : «اذا خرجت من عند مولاك فطفْ في المدينة ، وتأمل ماتراه فيها فاذا رأيت جماعة يتحدثون فاجلس إليهم واستمع مايفيضون فيه ، فاذا رجعت الى سيدك وخلوتَ معه فقل : رأيتُ اليوم كذا وكذا وسمعتُ من يقول كذا وكذا ، فان في هذه تسلية له وأنساً من وحشته ويوشك إذا فعلت ذلك ان تحظى به عنده»[٣٩] .

ومن هنا ، يتضح من عنوان الكتاب «السلوان» أو «السلوانات» موضوع الكتاب والغاية التي قصدها المؤلف من تأليف هذا الكتاب وهو بعث النصح والارشاد، والسرور والبهجة في نفس قارئ هذه السلوانات.

موضوع الكتاب

موضوع هذا الكتاب بصورة عامة وعظيّ ارشاديّ يستهدف طبقة خاصة وهي طبقة الملوك والحكام بمسامرتها بقص الحكايات التي تدور في إطار حياتها ، والى ذلك يشير ابن ظفر بقوله في سلوانة «الصبر»: «والنوع اللائق بكتابنا هذا منها : هو صبر الملوك»[٣٠] .

اما موضوع السلوانات فيختلف بحسب مايدل عليه عنوان السلوانة التي يتحدث عنها ، وهي على نحو عام وعظية تقدم للقارئ ثمرة الحكم وتجارب الحياة لهذه الطبقة الخاصة ليسلكوا في حياتهم سواء السبيل ، فيقول ابن ظفر في خطبة الكتاب «نفثت في صورها[٣١] أرواح الاخلاق الزكية ، وكسوت ... ومها حلل الملوكية ، وتوجتُ رؤوسها تيجان الهمم الأبية ، وقلدتُ عواتقها سيوف المكابد الحربية»[٣٢] .

مصادره

وكان ابن ظفر يستمد موضوعات سلواناته من مصادر متعددة ، فقد استمد من التاريخ الاسلامي كثيراً من قصصه ، نذكر منها ، مثلاً ، قصة اجتماع رؤساء قريش في دار الندوة للتشاور في امر النبي محمد ﷺ ، وقد جاءهم ابليس في صورة شيخ اعرابي من اهل نجد[٣٣] ، وقصة عثمان بن عفان «وهو محصور في الفتنة»[٣٤] ، وقصة عبدالملك بن مروان حين خروجه لقتال عبدالله بن الزبير[٣٥] ، كما استمد بعضاً منها من الحديث النبوي الشريف فقد اورد حديث ابن مسعود في زهد الملوك ، وجاء فيه خبر ملك قديم اعرض عن ملكه متزهداً ، وساح في الارض حتى اتى النيل وشرع يضرب اللبن ويقتات من ذلك ، فلما سمع به الملك الذي كان بأرضه ترك ملكه ايضاً ولحق به. وقد أورد ابن ظفر ماذكره لنا ابن مسعود : «لو كنتُ بمصر لأريتكم قبرهما بالنعت الذي نعتهما لنا رسول الله ﷺ»[٣٦] يضاف الى ذلك مااستمده من عصر ماقبل الاسلام كما في قصة عدي بن زيد رسول الفرس الى الروم[٣٧] ، والخبر الذي اورده عن زهد النعمان بن المنذر[٣٨].

واستمد ابن ظفر ايضاً من التاريخ الفارسيّ كثيراً مما أورده من قصص في كتابه ، نذكر من ذلك إشارته الى الصحيفة الصفراء المعلقة في أعظم هياكل الفرس[٣٩] ، وقصة سابور ابن هرمز عندما دخل بلاد الروم متنكراً وحيلة وزيره في انقاذه خلال توجه قيصر الى احتلال جنديسابور حاضرة ملكه[٤٠] ، وقصة كسرى أنوشروان وطمعه في ارض من تخوم الهندية[٤١] ، وكان يشير في معظم الاحيان الى ذلك بقوله : «ذلك فيما ذكره المعتنون بأخبار ملوك الفرس»[٤٢] ، وكذلك بقوله : «وقد دون الفرس أخباراً عجيبة نادرة»[٤٣]

كما استمد من اليونانية ايضاً عدداً من قصصه ، تشير الى ذلك قصة ملك من ملوك اليونانيين وابنته التي أصيبت بهياج المرة السوداء[٤٤] ، وقصة ملك من ملوك اليونانيين قام من منامه في بعض الغدوات ، فأتته قِنة كانت قيمة له تلبسه ثيابه ، فلبسها ثم ناولته المرآة ، فنظر فيها فرأى شيبة في لحيته فقال : «هاتي المقراض ياجارية ، فأتته ، فقص الشيبة فتناولتها وكانت اديبة لبيبة ، فوضعتها في كفها ، وأصغت اليها أذنها ساعة ، والملك ينظر إليها ويتأملها معجباً ، فقال لها : ماتصنعين؟ فقالت : أسمع لما تقول هذه الشعرة التي عظم مصابها بمفارقة الكرامة العظمى حين سخطها الملك وكرهها واقصاها ، فقال لها الملك : ماالذي سمعت من قولها؟ فقالت : زعم قلبها انها سمعها تقول كلاماً لايجترىء لساني على النطق به لاتقاء سطوة الملك ، فقال لها : قولي آمنة مالزمت اسلوب الحكمة ، فقالت : انها تقول : ايها الملك المسلط الى أمد قصير اني كنت ظننتُ بك البطش بي والاعتداء علي فلم اظهر على سطح جسدك حتى بضتُ وحضنتُ بيضي حتى أفرخنَ وعهدتُ الى بناتي في الأخذ بثأري عهداً وكأن قد

خرجن فجعلن الاخذ بثأري منك إما باستئصالك واما بتنغيص لذتك وتجيف قوتك حتى تعد الهلاك راحة. فقال لها : أكتبي كلامك هذا ، فكتبته له فتصفحه مراراً ثم نهض مبادراً فأتى هيكلاً من الهياكل التي يعظمونها فنزع عنه ملبس الملك فتزيا بزي النساك»[٤٥].

واستمد المؤلف ايضاً من النصرانية مجموعة من القصص واقوالهم فهو يحدثنا عن الأب لوقا[٤٦] ، وعن اللطران والبطريق وكان متبتلاً في قلاية له بظاهر اللاذقية ، وكان شيخاً فانياً[٤٧] ، وقصة الراهب وراعي البقر[٤٨] ، وقصة ملك من ملوك اللان وكان كافراً عتياً والتحدث عن ايمانه بشرائع المسيح عليه السلام بوساطة وزيره[٤٩] .

وهذا التنويع في مصادر ابن ظفر يشير كما يذكر موسى عمر باشا[٥٠] الى موسوعية الثقافة في عصر ابن ظفر وهو القرن السادس للهجرة.

منهج الكتاب

يحتوي كتاب «سلوان المطاع في عدوان الاتباع» على خطبة الكتاب بقلم ابن ظفر، وخمس سلوانات ، السلوانة الاولى في التفويض ، والثانية في التأسي والثالثة في الصبر، والرابعة في الرضا ، والخامسة في الزهد ، ولم يكن ترتيب السلوانات ترتيباً اعتباطياً بل كان قائماً على فكر وروية ذلك ان كل صفة من هذه الصفات إذا التزم بها الشخص القارئ لهذه السلوانة تفضي به الى الصفة التي تليها فصفة التفويض تفضي الى التأسي ، والتأسي يفضي الى الصبر، والصبر يفضي الى الرضا ، والرضا يفضي الى الزهد ، وهذا مانستشفه من اشارة ابن ظفر في قوله في سلوانة الصبر التي استهلها بتعريف هذه الصفة «وهو ثمرة التأسي»[٥١] .

وتضم كل سلوانة من سلوانات الكتاب ثلاثة اقسام ، الاول : يصدره بذكر ماورد في موضوع السلوانة من الآيات القرآنية الكريمة ، ثم يشفع هذه الآيات بذكر الاحاديث والاخبار النبوية ، قال : «وصدرتها بآي من التنزيل المحكم وأحاديث عن المصطفى ﷺ»[٥٢] .

أما القسم الثاني فيضمنه ذكر منثور الحكم وموزونها في موضوع هذه السلوانات فيختار نماذج من اشعار عدد من شعراء العرب ، قد يذكر أسماء قائلي عدد منها ، وربما يذكر الاشعار مجردة من ذكر اسماء اصحابها ، وكذلك يختار نماذج من حكم منثورة في هذه الموضوعات —موضوعات السلوانات— من ذلك ماجاء في سلوانة الصبر ذكره مما ورد في الصحيفة الصفراء المعلقة في اعظم هياكل الفرس : «كما ان الحديد يعشق المغناطيس ، فكذلك الظفر يعشق الصبر ، فاصبرْ تظفر— اعلم رحمك الله ان ظل الصبر ظليل ومضله ذليل وان الصبر درج يفضي بمن عرج الى الفرج»[٥٣] .

اما القسم الثالث من السلوانة فهو القسم القصصي الذي يستهله ابن ظفر بهذا العنوان المسجع «روضة رائقة ورياضة فائقة»[٥٤] وهذا القسم كما وصفه موسى عمر باشا[٥٥] «أهم ما في الكتاب القصص الشائعة والسير الجميلة التي كان يتمثل بها في سلواناته المختلفة».

يفتتح ابن ظفر هذا القسم او هذه الرياض –كما يسميها– بحكاية رئيسة مستمدة من التاريخ القديم سواء أكان عربياً او اسلامياً او فارسياً، او يونانياً، او نصرانياً....وغيره دون ذكر سند الحكاية فهو يكتفي بموضوعها في إطارها الملوكي، والى ذلك يشير، فيقول: «كتاب عمدتُ فيه الى امثلة استأثرت خواص الملوك ببضاعتها ومنعتهم الغيرة من اذاعتها، فتوسعت بالتعبير بألفاظي عنها، والتحبير بقلمي لها، والتفنن بقوى فطنتي فيها توسعاً لايحظره شرع، ولا ينبو عنه سمع»[٥٦]. وتتولد داخل هذه الحكاية الرئيسة حكايات اخرى عديدة قد تكون قصيرة او طويلة مرتبطة بالحكاية الرئيسة معذية لابعادها يجمعها مضمون واحد يكون مسوغا لان تضمها سلوانة واحدة فضلاً عن ان لهذه الحكايات الثانوية هدفاً منهجياً يعمل على تطور احداث الحكاية الرئيسة.

ويبدو ابن ظفر في هذا القسم من السلوانات متأثراً بمنهج الليالي، فقد كان يستهل حكاياته بعبارات يبدو بها تأثره بعبارة شهرزاد التي عودتنا ان تطلع علينا في الليالي بعبارتها «بلغني ايها الملك السعيد ان...» كذلك كان ابن ظفر يبدأ حكاياته بعباراته «لما بلغ فلان....» او «قيل ان فلاناً» او «لما عزم فلان».

كذلك جعل ابن ظفر سلواناته على هيأة مجالس ليلية تستمر لعدة ليال يتداخلها عبارات تدل على انتهاء الليل ودنو الصباح، كما هو الحال في الليالي التي عودتنا ايضاً فيها شهرزاد ان تختفي عنا بعبارتها الشهيرة «وأدرك شهرزاد الصباح، فسكتت عن الكلام المباح» ومن عبارات ابن ظفر التي تدل على دنو الصباح وقد اخذ التعب والسهر من الراوي ماجاء في سلوانة «التأسي» وكان وزير سابور بن هرمز يروي حكاياته على المطران الذي وكل بحراسة الملك سابور بن هرمز عند وقوعه في اسر ملك الروم، فكان وزير هرمز يجلس كل ليلة يروي له حكايات يهدف منها الى إيصال مايريد الوزير من اخبار الى سابور قال ابن ظفر :«وجعل الوزير يتفق عند المطران بما يعجبه ويستمليه بما يميل اليه ويطرفه كل ليلة بأخبار ممتعة رافعاً بها صوته ليسمع سابور حديثه فيتسكن بذلك ويدس في احاديثه مايجب ان يعلمه سابور من الاخبار، ويفطنه له من الاسرار»[٥٧] وكان الوزير يرغب في استزادة عدد مجالس السمر، يقول: «اني احس في نفسي فتوراً، وفي رأسي صداعاً، ولا يمكن الليلة اتمام الحديث ولعلي ان اكون في الليلة القابلة نشيطاً الى ذلك قادراً عليه، فأكمل مسرتك باكماله ونهض الى مضجعه»[٥٨] تاركاً المطران في أشد الشوق الى معرفة احداث الحكاية، فيقول له المطران في المجلس التالي: «فان نفسي الى علم ذلك متطلعة وأراك الليلة صالح الحال»[٥٩].

وهكذا تجري مجالس سمر داخل السلوانة تروى خلالها حكايات متعددة تتفتح بعضها على بعض تتصب في مصب واحد وهو ما أسماه «بالسلوة» او «السلوان» فكل الحكايات بلا استثناء وأياً كانت انسانية او حيوانية كان هدفها هو بث السلوة في نفس المروي له.

كما يبدو لنا ان كتاب (سلوان المطاع في عدوان الاتباع) متأثر ايضاً بحكايات (كليلة ودمنة) التي ترجمها «عبدالله بن المقفع» الى العربية في اواخر العصر الاموي، حيث ان كتاب سلوان المطاع لاتخلو سلوانة من سلواناته من قصة تروى على لسان الحيوان. فبعض حكايات ابن ظفر تلتقي مع حكايات كليلة ودمنة من انهما يلتقيان في الحديث على لسان الحيوان الاعجم وهما قصص تلقى بأسلوب الحكاية في مجلس سمر فحكايات «كليلة ودمنة» تلقى – كما هي معروفة – يقص الانسان «بيدبا» الفيلسوف على الملك «دبشليم» قصصاً شتى من عالم الحيوان لاتربط بينها وحدة زمان او مكان سوى مسامرة الملك بها في تلك المجالس، كما لايربطها بعالم الانسان سوى ماتقدمه من عبرة صريحة وموعظة مباشرة فكل حكاية منها، يؤلفها «بيدبا» الحكيم المعلم لتعطي عبرتها بتوجيه سؤال الملك عن مَثل بعينه فيسوق إليه «بيدبا» في القصة المتخيلة مضرب هذا المثل.

والامر لا يختلف اختلافاً جوهرياً في حكايات السلوانات التي تروى على لسان الحيوان الاعجم فهي ايضاً تؤدى بطريق الحكاية والسمر لغرض بث السلوة في نفس المسامر وأخذ العظة منها. إلا ان هذه القصص التي هي على لسان الحيوان في السلوانات ماهي الا رموز تعبر عن شخصيات لها وجودها في الحكاية الرئيسة في السلوانة، وهي مضرب للامثال، فيها العبر والدروس، فمثلاً نجد في «سلوانة التأسي»[٦٠] التي كانت قصتها الرئيسة حكاية طموح نفس الملك سابور الى رؤية مملكة الروم ومخالفة نصائح وزيره وصاحبه المحنك بعدم دخولها ووقوعه بعدها في اسر ملك الروم، فقد روى وزير الملك سابور في هذه الحكاية حكايتين على لسان الحيوان: الاولى «قصة الفرس والخنزير[٦١]» والثانية «ابن التاجر والغزال»[٦٢] قصة الفرس والغزال اللذين اعتادا على رفاهية العيش ورغبتها بعدها بالتوحش والعيش في فلوات الارض ووقعها في الشرك واشتداد الضرر عليها بسبب خذلان صاحبيها وكفرهما لاحسانها واضرارهما بصاحبيها وبنفسها بتعاطيها التوحش الذي ليس لها أهلاً. ومن ثم انقاذهما عن طريق الخنزير الذي أنقذ الفرس مما هو فيه، والتاجر للغزال والعودة به الى داره.

ففي هاتين الحكايتين رموز كشفت عن جلية امر الملك سابور واصرار وزيره على انقاذه من الأسر الى النهاية.

فالحكاية الحيوانية في السلوانات خلافاً لما عليه القصة الحيوانية في كليلة ودمنة فهي جزء من القصة التي تروى على لسان الانسان اما في كليلة ودمنة فهي حكاية مستقلة تدور

احداثها جميعها على لسان الحيوان وهذه القصص التي تدور على لسان الحيوان في سلوانات ابن ظفر – كما يشير عمر موسى باشا[٦٣] تروى ذاتياً «يختار القصة او وصف الحيوان من خلال تجاربه الشخصية وواقعه الخاص»[٦٤] ، واشهر القصص على لسان الحيوان في السلوانات هي : «قصة الجرذ والفأر واليربوع المرم»[٦٥] و «قصة الكلبين والذئب»[٦٦] و «قصة الثعلب والأفعى»[٦٧] و «قصة الدب والقرد»[٦٨] و «قصة الفيلين»[٦٩].

خصائصه الفنية

اما فيما يتصل بشكل الكلام في السلوانات فهو قصّ نثريّ ، احتوى على كل اساليب القص من الراوي ، والمتكلم والمخاطب ، وكانت كل هذه الضمائر تسير تحت غطاء الراوي «المسامر» فابن ظفر الصقلّي لايظهر في السلوانات اذ يترك سرد الحكايات لشخص ثانٍ وهو المسامر ولم يظهر ابن ظفر في القص إلا عندما يفسر لنا عدداً من معاني بعض الألفاظ الغريبة.

وتميل لغة السلوانة في القسم الثالث وهو قسم القص عموماً الى النثر المرسل الذي يمتاز بصفاء العبارة ودقة التعبير ، وقد تحرر في هذا القسم من اسلوب السجع المعروف في عصره –القرن السادس– فابن ظفر عندما كان يسرد احداث حكاياته وحواراتها لم يلتزم بذلك السجع او الازدواج او التوازن فهو يدعها جميعاً متجهاً الى اسلوب الترسل ، ولكن يتخلل هذا الاسلوب الامثال المسجوعة التي كان يتمثل بها في حكاياته ، وكذلك يتداخل هذا الاسلوب الحر الطليق قليل من الجمل الوصفية القصيرة المسجوعة سجعاً خفيفاً بعيداً عن التكلف ، من ذلك قوله في حكاية «عين أهله وسيدة الذهب» قاصاً خبر ولوع عين اهله بنظر الى سيدة الذهب والتردد على منزلها : «ونازعت عين اهله نفسه الى الاستكثار من رؤية سيدة الذهب فلزم المعاودة الى منزلها والتمتع بتأملها حتى فطن له بعلها ، وكان جليقياً غليظ الطبع قاسي القلب شديد البطش يسمى الذئب ، فيرصد عين اهله حتى مر به فلما رآه وثب عليه فقتل فرسه ومزق ثيابه وتعتقه وعنف عليه واستعان باصحاب له فاحتملوا عين اهله وادخلوه الى دار الذئب وربطوه الى سارية في بيت منَ بيوتها ووكل به الذئب عجوزاً قطعاء اليد ، جدعاء الأنف ، عوراء العين شوهاء الحالة ، فلما جنّ الليل اوقدت تلك العجوز ناراً بالقرب من عين اهله وجلست تصطلي ، متذكر عين اهله ما كان فيه من السلامة والرفاهية والعز ، فزفر زفرة عالية»[٧٠].

نرى في هذا النص ان ابن ظفر عندما يسرد الحدث يوظف الجمل المرسلة ، ويستخدم عند وصف الاشخاص تلك العبارات القصيرة المسجوعة ، ففي هذا النص جاءت العبارات الواصفة لزوج عين اهله متوازنة متعادلة في قوله «كان غليظ الطبع ، قاسي القلب ، شديد

البطش». وكذلك في قوله واصفاً العجوز التي وكلت بخدمة عين اهله «قطعاء اليد، جدعاء الأنف، عوراء العين، شوهاء الحالة» فجميع هذه الفقرات متساوية في الطول مع اتفاق حركاتها وسكناتها تحقيقاً للتعادل الايقاعي.

اما اسلوب السجع في الكتاب فقد اكثر منه ابن ظفر في القسم الثاني من السلوانة، وهو قسم «منثور الحكم وموزونها» اذ اتسم اسلوبه بالتزام السجع بانواعه المزدوج والمتوازن الى جانب توظيفه لأسلوبي الطباق والمقابلة فيه، فضلاً عن استخدام هذا الاسلوب في خطبة الكتاب ومما جاء فيها قوله:

«وبعد، فإن مما أفضى اليه اضطراب الاغتراب، وانتياب الاكتئاب ان أظفرني الله وله الحمد، بمؤاخاة مقيل عثرات السادات السراة، ومسل أنفس الحسدة حسرات، سيد السادة، وقائد القادة، ابي عبدالله محمد بن أبي القاسم علي بن علوي القرشي.... فلقد انزل الدنيا بدرك منزلتها، وكوشف بترك مذلتها، نعمل للبقاء لا للفناء، وجمع للجود لا للاقتناء، وجاد لله لا للثناء، وآخى للتعاون على البر والتقوى لا للتهافت في هوى الهدى»[٧١].

وفي ذلك يعبر ابن ظفر عن طبيعته الفنية التي لاتعرف طريقة واحدة في الاداء، كما يتضح في اسلوبه، فهو كالجاحظ والتوحيدي ينتقل من اسلوب المسجع الى اسلوب المرسل وبالعكس، ويخرج من طريقة الى اخرى في الاطار الفني للكتاب[٧٢].

المصادر والمراجع

١ – أبو حيان التوحيدي وجهوده الادبية والفنية ، عبدالواحد حسن الشيخ ، الهيأة المصرية العامة ، الاسكندرية ، ١٩٨٠.

٢ – ادب الدول المتتابعة ، عمر موسى باشا ، ط١٠ ، دار الفكر الحديث ، دمشق ١٩٦٧.

٣ – بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط١٠ ، ١٩٦٥.

٤ – تاريخ الادب العربي ، بروكلمان ، ترجمة السيد يعقوب بكر ، و د.رمضان عبدالتواب دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٥.

٥ – زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ابن العديم ، تحقيق : سامي الدهان ، مط. الكاثوليكية بيروت ، ١٩٥٤.

٦ – السلوانات في مسامرة الخلفاء والسادات سلوان المطاع في عدوان الاتباع ، حجة الدين ابو عبدالله محمد بن ظفر الصقلّي ، نشرة أسعد طرابزوني الحسنيّ ، مراجعة : ابو نهلة احمد بن عبدالمجيد ، مط. دار نشر الثقافة ، ١٩٧٨.

٧ – الكامل في التاريخ ، عزالدين بن الأثير ، دار صادر ، ودار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٦٦.

٨ – محيط المحيط ، بطرس البستاني ، مكتبة لبنان ، بيروت ، مطابع مؤسسة جواد للطباعة ١٩٧٧.

٩ – معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٠.

١٠ – النثر الفني وأثر الجاحظ فيه ، د.عبدالحكيم بلبع ، ط٣٠ ، مط. الاستقلال الكبرى القاهرة ، ١٩٧٥.

١١ – النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ، نسخة مصورة عن مطبعة دار الكتب ، وزارة الثقافة والارشاد القومي المؤسسة المصرية العامة.

١٢ – الوافي بالوفيات ، الصفدي ، هلموت رتير ، دار النشر فرانز شتاينر ، ١٩٦٢.

١٣ – وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان ، ابن خلكان ، تحقيق : د.إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٧.

هوامش البحث

(١) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، ابن خلكان ، تح : د.احسان عباس ، دار صادر، بيروت ، ٧ / ١٤ ، ٣٩٥/٤ ، ومعجم الأدباء ياقوت الحموي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٠ : ٤٨/١٩ ، الوافي بالوفيات ، الصفدي ، هلموت ريتر، دار النشر فرانز شتاينر ١٩٦٢م ٤١/١ ، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، السيوطي ، تح : محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط. ١ ، ١٩٦٥ ، ٤٢/١ ، وتاريخ الادب العربي ، بروكلمان ، ترجمة يعقوب بكر، د. رمضان عبدالتواب دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٥ : ١٦٠/٦ .

(٢) وفيات الاعيان : ٣٩٥/٤ ، والوافي بالوفيات : ١٤١/١ .

(٣) معجم الأدباء : ٤٨/١٩. وبغية الدعاة : ٤٢/١ .

(٤) وفيات الاعيان : ٣٩٥/٤.

(٥) الكامل في التاريخ ، عز الدين بن الأثير ، دار صادر، ودار بيروت ، للطباعة والنشر ١٩٦٦م : ١٦٥/١ – ١٦٦.

(٦) المدرسة المعصرونية هي المدرسة التي تولاها شرف الدين بن أبي عصرون في زمن نورالدين الزنكي سنة ٥٥٠هـ وكان فيها مسكن للمدرسين من الفقهاء وهي مدرسة كانت على مذهب الشافعي ، ينظر زبدة الحلب في تاريخ حلب ، ابن العديم ، تح . سامي الدهان ، مط. الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٥٤ : ١/هـ / ٢٩٣ ، ٢٩٤/٢.

(٧) زبدة الحلب : ١٥٧/٢ – ١٦٤.

(٨) الوافي بالوفيات : ١٤١/١

(٩) وفيات الاعيان : ٣٩٧/٤ ، ومعجم الادباء : ٤٨/١٩ ، والوافي بالوفيات : ١٤١/١ ، وبغية الوعاة : ١٤٢/١ ، وتاريخ الأدب العربي ، بروكلمان : ١٦٠/٦ .

(١٠) وفيات الاعيان : ١٩٦/٤.

(١١) الوافي بالوفيات : ٤٨/١٩.

(١٢) معجم الأدباء : ٤٨/١٩.

(١٣) وفيات الاعيان : ٣٩٦/٤.

(١٤) زيد بن الحسن بن زيد بن سعيد بن حمير بن الحارث... ، الإمام تاج الدين أبو اليمن الكندي. النحوي اللغوي المقرىء المحدث الحافظ المولود ببغداد سنة ٥٢٠ هـ .. وقدم دمشق ، ونال الحشمة والوفرة والتقدم ، وازدحم عليه الطلبة ، وكان حنبلياً فصار حنفياً . وتقدّم في مذهب أبي حنيفة ... وأفتى ودرّس وصنف وأقرأ القراءات والنحو واللغة والشعر ، توفي سنة ٦١٣ هـ . بغية الوعاة : ١/ ٥٧٠ – ٥٧١ .

(١٥) وفيات الاعيان : ١٩٦/٤.

(١٦) وهاهي مؤلفاته مرتبة ترتيباً هجائياً : [أرجوزة في الفرائض ، وكتاب أساليب الغاية في احكام آية وهو كتاب ضمنه احد عشر اسلوباً تفضي مسالكها الى العلم بالظاهر والمستنبط من قوله تعالى ﴿ياايها الذين آمنوا اذا قُمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم﴾ من الآية ٦ من سورة المائدة ، وكتاب الاشارة الى علم العبارة ، وكتاب الاشتراك اللغوي والاستنباط المعنوي ، وكتاب إكسير كيمياء التفسير ، وكتاب الانباء على كتاب المسمى بالاحياء ، وكتاب أنباء نجباء الابناء ، وهذا الكتاب يتحدث فيه عن ابناء عشرة من الصحابة ، وابناء الصحابة ، ومجموعة من اهل الورع والتقوى ، وملوك العرب في الجاهلية وملوك الفرس وللكتاب نسخة مختصرة أشار اليها ابن ظفر في كتابه سلوان المطاع ومقدمته بعنوان «درر الغرر في أنباء الأبناء . وكتاب الجنة من فرق أهل السنة وهو في الاعتقاد وكتاب حاشية على درة الغواص من اوهام الخواص للحريري وكتاب خير البُشر بخير البشر، وهو كتاب يتعلق بذكر التبشير بظهور الرسول ﷺ في التوراة والانجيل ، وفي اقوال اخبار اليهود وكهان العرب والجن ، وقد طبع الكتاب بالقاهرة وفيه «المختصر في خبر سيد البشر» وكتاب الحُوذ الواقية والعوذ الراقية وهو في الوعظ ، وكتاب شرح غريب مقامات الحريري ، وكتاب القواعد والبيان وهو مختصر في النحو ، وكتاب مالك الاذكار في مسالك الافكار ، ومعانيه الجريّ على معاقبة البريّ ، وكتاب المسن لاستشاف المعونة والاشراف وهو كتاب قد استوعب مسائل كتابي ينبوع الحياة ، وأساليب العناية ، وكتاب المعادات ، وهو في الاعتقاد ، وكتاب ملح اللغة ، وهو فيما اتفق لفظه واختلف معناه على حروف المعجم وكتاب نصائح الذكر ، وكتاب ينبوع الحياة ، وهو تفسير القرآن الكريم كبير] ينظر: مقدمة ابن ظفر لكتابه السلوانات في مسامرة الخلفاء والسادات سلوان المطاع في عدوان الاتباع ، حجة الدين ابو عبدالله محمد بن ظفر الصقلي ، نشرة أسعد طرابزوني الحسيني ، مراجعة ابو نهلة احمد بن عبدالمجيد ، مط. دار نشر الثقافة ، ١٩٧٨ : ١٥ – ١٧ ، وفيات الاعيان : ٣٩٦/٤٠ ، ومعجم الادباء : ٤٨/١٩ – ٤٩. الوافي بالوفيات : ١٤١/١ ، وبغية الدعاة : ١٤٢/١ – ١٤٣ ، وتاريخ الادب العربي بروكلمان : ١٦١/٦ – ١٦٣. ومقدمة ابي نهلة احمد عبدالمجيد هريدي لكتاب السلوانات : ٩ – ١١.

(١٧) وفيات الاعيان : ٣٩٦/٤ – ٣٩٧ .
(١٨) الوافي بالوفيات : ١٤٢/١ .
(١٩) تاريخ الادب العربي بروكلمان : ١٦١/٦ .
(٢٠) مقدمة ابن ظفر للسلوانات ؛ ١٥ – ١٦ .
(٢١) تاريخ الأدب العربي ، بروكلمان : ١٦٢/٦ .
(٢٢) المصدر نفسه : ١٦٢/٦ .
(٢٣) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردي الاتابكي نسخة مصورة عن مطبعة دار الكتب ، وزارة الثقافة والارشاد القومي المؤسسة المصرية العامة : ١٦٣/١٢ .
(٢٤) مقدمة ابن ظفر للسلوانات : ١٧ ، ومحيط المحيط (سَلاْ) .
(٢٥) محيط المحيط (سَلاْ) .
(٢٦) السلوانات : ٦٤ ، ٧٢ ، ٨١ ، ١١٦ ، ١١٩ .
(٢٧) م.ن : ٢٣ – ٢٥ .
(٢٨) م.ن : ٣٤ .
(٢٩) سلوان المطاع في عدوان الاتباع : ٧٧ .
(٣٠) م.ن : ٨٧ .
(٣١) يقصد السلوانات .
(٣٢) سلوان المطاع في عدوان الاتباع : ١٦ .
(٣٣) م.ن : ٧٣ – ٧٥ .
(٣٤) السلوانات ، سلوانة الصبر : ٩٨ – ١٠٠
(٣٥) م.ن : سلوانة التفويض : ٢٥ – ٣٤ .
(٣٦) م.ن ، سلوانة الزهد : ١٢٥ – ١٩٦ .
(٣٧) م.ن ، سلوانة الصبر : ١٣٢ – ١٣٥ .
(٣٨) م.ن ، سلوانة الصبر : ٧٥ .
(٣٩) م.ن ، سلوانة الصبر : ٥٠ – ٧٢ .
(٤٠) م.ن : ١١١٩ .
(٤١) م.ن : ٧٨ – ٨٧ .
(٤٢) م.ن : ١١٩ .
(٤٣) م.ن : ٥٠ .
(٤٤) السلوانات : ١١٣ – ١١٦ .
(٤٥) م.ن : ١٣٥ .
(٤٦) م.ن : ٦٢ .
(٤٧) م.ن : ١٤٣ – ١٤٦ .
(٤٨) م.ن : ١٣٦ – ١٣٨ .
(٤٩) م.ن : ١١٣ – ١١٤ .
(٥٠) ادب الدول المتتابعة : عمر موسى باشا ، ط.١ ، دار الفكر الحديث ، دمشق ، ١٩٦٧ ، ٨١٩ .
(٥١) السلوانات : ٧٣ .
(٥٢) مقدمة ابن ظفر للسلوانات : ١٦ .
(٥٣) السلوانات : ٧٥ .
(٥٤) م.ن : ٢٣ ، ٣٥ ، ٥٠ ، ٧٨ ، ٩٨ ، ١٠٣ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٨ .

(٥٥) ادب الدول المتتابعة : ٨١٨.
(٥٦) مقدمة ابن ظفر للسلوانات : ١٦.
(٥٧) السلوانات : ٥٦.
(٥٨) م.ذ : ٦٤.
(٥٩) م.ذ.
(٦٠) السلوانات : ٤٧ – ٧٢.
(٦١) م.ذ : ٦٠ – ٦٢.
(٦٢) م.ذ : ٦٤ – ٦٨.
(٦٣) أدب الدول المتتابعة : ٨١٩.
(٦٤) م.ذ.
(٦٥) السلوانات : ٨٨ – ٩٠.
(٦٦) م.ذ : ٢٩ – ٣١.
(٦٧) م.ذ : ٢٩ – ٣٤.
(٦٨) م.ذ : ١٠ – ١١.
(٦٩) م.ذ : ١٤٠ – ١٤١.
(٧٠) السلوانات : ٦٠.
(٧١) م.ذ : ١٥.
(٧٢) النثر الفني واثر الجاحظ فيه ، د. عبدالحكيم بلبع ، ط٣ ، مط. الاستقلال الكبرى ، القاهرة ، ١٩٧٥ : ٢٩٤ ، وأبوحيان التوحيدي وجهوده الادبية والفنية ، عبدالواحد حسن الشيخ ، الهيأة المصرية العامة ، الاسكندرية ، ١٩٨٠ : ٣٢٥.